

## سوق الاستعباد الفكري (العمل في السوق الإسرائيلي)

د. يحيى حجازي/ القدس

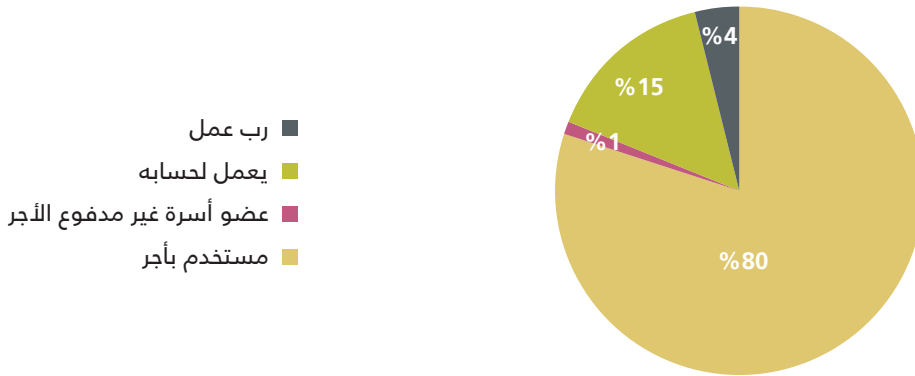
« أعرف أن العمل في المستوطنات غير مرغوب به وطنياً، ولكنني لا أجد بديلاً عن هذا العمل كي أوفر متطلبات الحياة لأسرتي وأمكن أبنائي من اكمال تعليمهم... إنه شعور حزين أن يعمل المرء في مكان يعتبره سرطانا في أرضه، لكنه الخبز المر يدفعني للعمل مكرها في ظل عدم توفر عمل بديل في المؤسسات الفلسطينية»<sup>1</sup>

### إحصائيات

بحسب احصائيات المركز الفلسطيني للإحصاء للعام 2014 بلغ عدد الفلسطينيين العاملين في داخل إسرائيل الـ 105 آلاف عامل، من بينهم 11 ألف عامل يعملون في قطاع البناء، 6 آلاف في قطاع الزراعة، 3 آلاف في قطاع الصناعة والكثير في قطاع الخدمات<sup>2</sup>.

أما الوضع في مدينة القدس فهو قائم للغاية، حيث تظهر الاحصائيات في كتاب القدس الاحصائي الذي يصدره المركز الفلسطيني للإحصاء للعام 2016<sup>3</sup>، أن غالبية المقدسيون هم مستخدمون بأجر. الشكل التالي يظهر توزيع المهن بحسب المجال.

### أنواع المهن



يعمل المقدسيون في مهن عدة، ولكنهم ينشطون بحسب الكتاب الاحصائي في المهن الخدمية (26%)، البناء والتشييد (32%) وفي التجارة والمطاعم والفنادق (24%). أما من يعملون في المستعمرات المحيطة بالقدس بحسب نفس المصدر، فتبلغ نسبتهم 33%.

تظهر الاحصائيات انخفاضاً مستمراً لنسبة العاملين في إسرائيل والمستوطنات بين الأعوام 2015-2011، وقد يكون ذلك نتاجاً لتطور واختلاف سوق العمل في إسرائيل والانتقال من الـ Low-Tech الى الـ Hi-Tech، ففي العام 2011 بلغت نسبة الذين عملوا في السوق الاسرائيلي 43% أي بزيادة مقدارها 10% مقارنة بالعام 2015. لربما نستطيع التكهن بأن الخطة الإسرائيلية الحالية الهادفة الى استيعاب المقدسيين من جهة والمتدينين اليهود من جهة أخرى في الجامعات والكليات الإسرائيلية، وتشجيع التسجيل للبرامج الهندسية المختلفة، وجذبهم من خلال تغطية تكاليف الدراسة بالكامل تهدف الى «إعادة برمجة الأيدي العاملة» من خلال إكسابهم مهارات ومعارف بمستوى أعلى يحتاجها السوق الإسرائيلي الحالي والذي يحتاج الى عمال مهرة في التخصصات المختلفة أكثر من حاجته لعمال بسطاء، حيث أوصت

1 موقع الاقتصادي (2015-3-23). عمال المستوطنات... غصة في القلب. [http://www.aliqtisadi.ps/ar\\_page.php?id=3d101y250113Y3d101](http://www.aliqtisadi.ps/ar_page.php?id=3d101y250113Y3d101) (تم زيارة الموقع في 2018-3-9).

2 المصدر السابق

3 جهاز الاحصاء المركزي الفلسطيني . كتاب القدس الاحصائي 2016.

اللجنة الإسرائيلية بين وزارية على توفير ميزانية بقيمة 2.3 مليار شيكل لهذا الغرض<sup>4</sup>.

تعتبر مدينة القدس الأفقر بين المدن الفلسطينية بحسب الإحصاءات الإسرائيلية، وتعتبر تكاليف المعيشة فيها مرتفعة مقارنة بنظيراتها الفلسطينية. إن تكاليف الحياة الباهظة يدفع المقدسيين إلى الانخراط في السوق الإسرائيلي بشكل عام وبالعامل بالمستوطنات بشكل خاص لأن معدل الدخل اليومي الذي يحصل عليه العامل هناك هو ضعف ما يحصل عليه في حال عمل في السوق الفلسطيني<sup>5</sup>، فمعدل الدخل اليومي للعامل المقدسي في السوق الإسرائيلي هو 173 شيكل مقابل 97 شيكل في السوق الفلسطيني.

« بعد تخرجي من الجامعة في تخصص الفيزياء لم أجد عملاً لي، ولم أستطع الانخراط في جهاز التربية والتعليم الفلسطيني للتدريس، ولم أقبل للتعليم في المدارس الإسرائيلية لأن شهادتي غير معترف بها من قبل وزارة التربية والتعليم العالي الإسرائيلية، أجد نفسي جالساً خلف طاولة في إحدى المستعمرات 8 ساعات يومياً أغلف حبات التوت الأرضي ».

« أم محمد هي أرملة تصلي الصبح وتغسل وجهها وتحضر الفطور ووجبة الغداء لأبنائها، معتمدة على ابنتها بنت الثالثة عشرة للاهتمام بأختها وتجهيزهم للمدرسة صباحاً، تنتظر سيارة شركة التنظيف التي ستقلها إلى مستوطنة غوش عتسيون للعمل هناك ».

## ما الأسباب التي تدفع الفلسطينيين عموماً والمقدسيين خصوصاً للعمل في المستوطنات الإسرائيلية وفي السوق الإسرائيلي؟

1. محدودية السوق الفلسطيني من ناحية الكم والنوع، فبسبب الاحتلال الجاثم على الأرض ومنع الفلسطينيين من بناء اقتصاد حر غير تابع يعجز السوق الفلسطيني من استيعاب كل الطاقة العاملة الفلسطينية. إضافة إلى ذلك فإن سوق العمل المقدسي كما هو الحال في سوق العمل الفلسطيني يكاد أن يكون سوقاً عائلية، حيث تستوعب المشاغل والأعمال الخاصة أبناء العائلة بالأساس قبل استيعابها للآخرين.
2. العوز الاقتصادي: بالرغم من أن الكثير من المقدسيين يرون بعملهم في المستوطنات سواء في المطاعم والمؤسسات الإسرائيلية شوكة في الحلق، إلا أن سوق العمل المحدود في الأراضي الفلسطينية لا يتيح لهم فرصة الخيار. وبما أن أكثر من 80% من المقدسيين بحسب الإحصاءات الإسرائيلية<sup>6</sup> يعيشون تحت خط الفقر، لا بد لمن يستطيع العمل في الأسرة الخروج والتفتيش عن فرص تسد الاحتياجات اليومية الأساسية للأسر لا غير.
3. ظروف العمل والراتب المدفوع. بالرغم من ظروف العمل القاسية والراتب المجحف الذي يحصل عليه المقدسي الفلسطيني مقارنة بالعامل اليهودي، إلا أن الراتب الذي يدفع للعامل المقدسي في السوق الإسرائيلي كما تم الإشارة إليه سابقاً هو ضعف ما يمكن الحصول عليه في السوق الفلسطيني، الأمر الذي ينفر بعض المقدسيين من العمل في السوق الفلسطيني بالرغم من إيجابياته.
4. تسهيل العمل في السوق الإسرائيلي وفي المستوطنات من خلال الوسطاء والمكاتب التي تنظم السفر من وإلى مكان العمل. في كل أزمة اقتصادية وسياسية نرى الكثير من يجيرون تلك الازمات لجني المكاسب المالية، فمنهم من يسهل الحصول على تراخيص العمل مقابل آلاف الشواكل يدفعها العامل البسيط للسماسة، ومنهم من يعقد الصفقات لإنجاز مهمات تتطلب الأيدي العاملة فيقوم بتوفيرها مقابل الحصول على حصته من تلك الصفقات، ومنهم من ينقل العمال الفلسطينيين من وإلى بيوتهم مقابل أجر. يعمل بحسب إحدى التقارير الصحفية حوالي 53% من الفلسطينيين عن طريق السماسة، بينما يستطيع 47% من العمال توقيع عقود بشكل مباشرة مع صاحب العمل الإسرائيلي<sup>7</sup>، أكثر من النصف يعيشون تحت رحمة السماسة.
5. قرب المناطق الصناعية الإسرائيلية من أماكن السكن يدفع المقدسيين وخصوصاً الفتيات في العمل في تلك المناطق. هناك مجموعة من الكتل الاسمنتية «المناطق الصناعية» بنيت بمحاذاة الأحياء العربية بهدف جذب الأيدي العاملة الفلسطينية إليها بسهولة. في مدينة القدس هناك عدة تجمعات (تل بيوت، عطروت، جبعات شأول، الخان

4 جريدة هآرتس (2016-09-13). برنامج الجامعات 2022- دمج العرب والمتدينين اليهود وإحضر طلبة أجانب. <https://www.haaretz.co.il/news/education/1.3066862> (تم زيارة الموقع في 8.3.2018).

5 المصدر السابق

6 جهاز الإحصاء المركزي الإسرائيلي، 2016.

7 صبيح ماجد، العمال الفلسطينيون بأجر في المستوطنات الإسرائيلية في الضفة: الخصائص وظروف العمل. في جريدة الحياة، مقالة بعنوان: العمل في المستوطنات.. سرقة لطموحات الخريجين وقتل لأحلام الاطفال (د.ت). [http://www.alhaya.ps/arch\\_page.php?nid=253102](http://www.alhaya.ps/arch_page.php?nid=253102) (تم زيارة الموقع في 10.3.2018).

الأحمر) كلها تمتلئ بالأيدي العاملة من الضفة الغربية عموماً ومن القدس بشكل خاص.

6. محدودية الطموح لدى الكثير من الشباب والشابات المتسربين والذين يكون أكبر طموحهم بعد سن العشرين بناء أسرة مستقلة، وشراء شقة بالغالب في مناطق ما بعد الجدار لعدم مقدرتهم تغطية تكاليف المنزل داخل الجدار الفاصل، فينخرطون في مائنية العمل من أجل الادخار، فلا يفكرون في مستقبلهم المهني وما إذا كان العمل في المستوطنات مقابل أجر هو ما يطمحون اليه حقاً. نرى الكثير من الشباب يعملون لسنوات كعاملين نظافة، أو كعاملين بسيطين في إحدى السوبرماركتات أو في المستودعات، فيصبح جل طموحهم خلال سنوات عملهم أن يرتقوا في سلم التقدم المهني، فينتقلون من عامل تنظيفات الى مسؤولاً عن بعض الشباب الجدد في مجال العتالة أو التنظيف.

7. إذا ما فحصنا العلاقة بين العاملين في المستوطنات الإسرائيلية والمستوى التعليمي ونوع المهن، لرأينا بأن من يعمل في تلك المناطق بالغالب هم ذوي التحصيل التعليمي المنخفض، وبالتالي فإن عدم اكمال الدراسة الأكاديمية يرفع من نسبة عمل المقدسيين في المستوطنات، ومن هنا تأتي أهمية الحفاظ على الطلبة قدر الإمكان على مقاعد الدراسة.

## ما الذي يمكن عمله للحد من مديونية الاستيطان بالأوكسجين؟

1. رفع الوعي العام لدى الفلسطينيين عموماً سواء في الأطر الرسمية والأطر غير الرسمية لمخاطر استمرار مشروع الاستيطان على أراضينا الفلسطينية، والتعرف على تداعيات استمراره على المستوى الاقتصادي الوطني، على مستقبل الوطن وعلى تدميره للبيئة والموارد الطبيعية المحدودة.

2. لا نستطيع أن نحكم على أي مقدسي أو أي فلسطيني يعمل في المستوطنات بقلة الوطنية، فلولا العوز الشديد الذي هو نتاج الاحتلال الإسرائيلي ومصادرة الموارد الطبيعية والأراضي التي كانت مصدر الرزق الرئيسي للكثير من الفلسطينيين العاملين اليوم في المستوطنات وفي السوق الإسرائيلي، لما اضطر الفلسطيني النهوض قبل شروق الشمس، الساعة الثالثة صباحاً والاصطفاف بطابور لساعات قبل أن يستطيع المرور عبر حواجز المهانة يومياً. ولذا فإن أي اقتراح لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار تلبية الاحتياجات الاقتصادية الأساسية للعمال الفلسطينيين عموماً والمقدسيين بشكل خاص. لا شك أن للاستيطان وبناء المناطق الصناعية على الارض الفلسطينية تداعيات بيئية وسياسية واجتماعية واقتصادية<sup>8</sup>، ولكن أي حل يمكن اقتراحه عليه أن يأخذ بعين الاعتبار التركيبة الإنسانية والوضع القائم بتعقيده.

3. من المهم الاستثمار في تعليم الأبناء، فالتعليم هو طوق الأمان للأبناء في توسيع حيز الإمكانات والفرص.

4. تعريف المقدسيين بسوق العمل الفلسطيني، ومحاولة حثهم للعمل فيه واكتشاف الميزات التي يمكن الحصول عليها هناك، والا كيف يمكن أن نفسر أن هناك آلاف المقدسيين يعملون بحسب جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني في السوق الفلسطيني<sup>9</sup>.

5. تعزيز المبادرات الفردية والجماعية، وهذا الأمر يبدأ في المدرسة، حيث يدعو حشوة<sup>10</sup> أن تقوم المدرسة بتعزيز هذا الجانب، فتعلم الطلبة الريادة الاقتصادية وتكسبه المعارف والمهارات في اقتراح مشاريع والتخطيط لها ومن ثم عرضها والتفتيش عن مصادر لدعمها وتنفيذها. في سنوات متقدمة يستطيع الطالب التفكير في تطوير مشاريعه الخاصة وتطويرها.

6. دعم الجمعيات والمشاريع الصغيرة المستدامة من قبل المؤسسات الوطنية الداعمة، ودعم الاقتصاد المستدام، فلا داعي لأن تخرج النساء أو حتى الرجال للعمل في السوق الإسرائيلي إن كان بمقدورهم إدارة عملهم الخاص والذي بدون دعم أولي وتغطية تكاليف الانطلاقة من قبل المؤسسات الوطنية لاستمروا في خدمة الاسرائيليين.

8 وجدة السياسات والمشاريع. المستوطنات الإسرائيلية، آثارها الاقتصادية والاجتماعية على الأراضي الفلسطينية وسوق العمل، رام الله، 2014.

9 جهاز الاحصاء المركزي الفلسطيني . كتاب القدس الاحصائي 2016.

10 حشوة، ماهر. التربية من أجل الريادة في فلسطين- دراسة استكشافية، معهد الأبحاث الاقتصادية الفلسطيني (ماس) 2012.

"تم إصدار هذا المقال بدعم من الاتحاد الأوروبي. إن محتويات هذا المقال هي من مسؤولية المؤلف ولا تعكس بأي شكل من الأشكال وجهة نظر الاتحاد الأوروبي."

تم كتابة هذه المقالة كجزء من حملة العلم بحر التي تنفذ من ضمن مشروع حراك المنفذ من قبل مؤسسة الرؤيا الفلسطينية بالتعاون مع مؤسسة مساعدات الكنيسة الدنماركية (DCA) ويتمويل من الاتحاد الأوروبي على مدار 3 سنوات (شباط -2016/شباط 2019)، لدعم التغيير لدى المقدسيين/ات من خلال تطوير القيادة المجتمعية والدفاع عن حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يكفلها القانون الدولي الإنساني.